ديوان الإنشاء وأهميّته في الكتابة في مصر في العصر الفاطميّ

الكتابة وعلاقتها بديوان الإنشاء:

فضل الكتابة:

حظيت الكتابة برتبة عالية بين غيرها من الصناعات التي عرفها البشر، وقد نالت قدراً عالياً، وكان لها شأن عظيم على مر العصور، و دليل مكانتها ورفعة شأنها أن الله تعالى نسب تعليمها إلى نفسه حينما قال عزَّ اسمه: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾(١)، وقد جعل الله الكتابة وصفاً للحفظَة الكرام من ملائكته، يقول جلَّ جلاله: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ﴾(٢)، ثم أقسم الله تعالى بالقلم، آلة الكتابة، وما يسطر به، قال تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾)(٣)، والقسم لا يقع منه تعالى إلا بكريم ما خلق من الآيات الدالة على شرفها ورفعة قدرها. و يقول الله عزّ وجلَّ في عيسى عليه السلام: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾(٤)وهذا دليل قاطع على الحاجة إلى الكتابة وضرورتها، فمن فضائل العلوم التي يُعلِّمُها أنبياءه الكتابة التي تَجْمَعُ في إدراكها الحكمة، فمن أدرك الكتابةَ وألمَّ بأصولها فقد نَالَ دروب الحكمة والخير.

وقد أدرك السلف قيمة الكتابة، فمدحوها وحثُّوا عليها، حيث قال سعيد بن العاص(٥): "مَنْ لَمْ يكتبْ فيمينُه يُسرى"(٦). وقال مَعْن بن زائدة(٧): "إذا لم تكتب اليدُ فهي رِجْل"(٨). ويتنبّه علي بن خلف الكاتب(٩) إلى رفعة وفضل الكتابة، ويقول في ذلك: "الكتابةُ تمامُ قوَّة النطق والمبلِّغُ به إلى أكمل غاياته، ولذلك جعلَها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عِقَالَ العلوم، فقال: "قَيِّدوا العلمَ بالكتاب"(١٠)، ويضيف في موضع آخر مبيّناً فضل صناعة الكتابة على غيرها من الصنائع، إذ يقول: "اعلَمْ أنَّ جميعَ الصنائعِ وسائلُ إلى دَرْك المطالب ونَيْل الرغائب، وأنَّ عوائدَها تتفاضلُ في الكثرة والقلَّة بحسب تفاضلها في الرفعَة والضعَة؛ إذ كان منها ما لا يفي بالبُلْغَة من قوام العيش نحو الصَّنائع المَهنية السُّوقية الدَّاخلة في المرافق العاميَّة، ومنها ما يُوصلُ إلى الثَّروة، ويتجاوزُ حدَّ الكفاية، ويُحظى بالمال الدثر والنِّعم الخطيرة، وهي الصَّنائعُ الخاصةُ، وإذا تُؤمِّلَ ما هذه صفتُه منها عُلِم أنَّه ليس منها ما يلحقُ بصناعة الكتابة ولا يساويها في هذا النوع، ولا يُكسبُ

ما تكسبُه من الفوائد والمَعَاون مع حصول الرَّفاهية ومجانبة التَّبذُّل والتَّنزه عن دنايا المكاسب، ولا ما يُوصِلُ إلى ما توصلُ إليه من الحظوة ورفاغة العيش ومشاركة الملوك المستعبدينَ للكافة، في المساكن الفسيحة، والملابس الرقيقةَ، والمراكب الجميلةَ، والدواب الفرهة، والخدم والحشم، وغير ذلك من الأدوات الملوكية"[١١]، فالصناعات متفاوتة في الرفعة والضعة، وأكثر الصناعات علوّاً في منزلتها صناعة الكتابة، التي تمنح صاحبها رفعة وحظوة ورفاهية تجعله يشارك الملك كل شيء.

ويقول ابن الصيرفي مبيناً منزلة الكتابة، متمثلة بالكتَّاب، التي تأتي بعد الملوك مباشرة مثلها مثل الوزارة: "فإنّي وجدتُ اللهَ، سبحانه، قد جعلَ الخليقةَ أطواراً يفتقرُ بعضُها إلى بعض، ويكونُ تباينُ مراتبها ومنازلها سبباً لعمارة الأرض، فجعلَ الأنبياءَ أعلى الآدميينَ محلَّاً وشأناً، والأئمةَ من بعدهم أفخرَهم رتبةً وأرفعَهم مكاناً، والملوكَ الإسلاميينَ أشرفَهم منزلةً وأعلاهم سلطاناً، ووزراءَهم وكتَّابَهم الناهضينَ بأعبائهم والموازينَ لهم في رخائهم وولائهم أسمحَهم ذكراً وأرجحَهم ميزانا"[١٢]، ويؤكد الملكُ المؤيد[١٣] ترتيب منزلة الكتابة والكتَّاب وأهميتها بعد الخلافة في قوله: "الكتابةُ أشرفُ مناصبَ الدنيا بعدَ الخلافة، إليها ينتهي الفضلُ وعندَها تقفُ الرغبة"[١٤]، ومن كلام أبي جعفر الفضل بن أحمد[١٥]، في جملة رسالة: "الكتابة أُسُّ الملك، وعمادُ المملكة، وأغصانٌ متفرقةٌ من شجرةٍ واحدة، والكتابةُ قُطْبُ الأدب، ومِلاكُ الحكمة، ولسانٌ ناطقٌ بالفصل، وميزانٌ يدلُّ على رَجَاحة العقل، والكتابةُ نورُ العلم، وفِدَامة[١٦]العقول، ومَيْدانُ الفضل والعدل، والكتابةُ حَلْيةٌ وزينَةٌ ولَبُوسٌ وجمالٌ وهَيْبةٌ وروحٌ جاريةٌ في أقسامٍ متفرقة، والكتابةُ أفضلُ درجةً وأرفعُ منزلةً، ومَنْ جَهِلَ حقَّ الكتابة فقد وُسِمَ بوسمِ الغُواة الجهلة، وبالكتابة والكتَّاب قامت السيَّاسةُ والرياسةُ، ولو أنَّ فضلاً ونُبْلاً تُصوِّرَا جميعاً تُصوِّرت الكتابةُ، ولو أنّ في الصناعات صناعةً مربُوبةً لكانت الكتابةُ ربَّاً لكلِّ صنعة"[١٧].

وإذا أنعمنا النظر في كلام من تقدم عن الكتابة والكتَّاب وجدناه شاملاً في بيان فضل الكتابة في نشأة الأمم ورقيّ الحضارات؛ فهي أساس قيام الملك، والمنظم لشؤون المملكة، وبها نمت سياستها الداخلية والخارجية، وترأست بفضل الكتابة بعضها بعضا، ومن امتلك هذا السلاح – الكتابة– فقد نال أعلى درجة، وأرفع منزلة لعلو مكانتها بين الصناعات التي فُضِّلت عليها.

ولما كانت صناعة الكتابة من بين الصناعات تحظى بمنزلة عالية ورتبة شريفة وقدّمت على غيرها، لأهميتها في نشأة الممالك؛ قُرِّب الكاتب من السلطان أو الملك، وحظي بمرتبة عالية امتاز بها عن غيره، قال علي بن خلف الكاتب: "ولعلم الملوك الحزمة بخطر هذه الصّناعة وأهلها، وعائدتهما في أمور السلطان صرفوا العنايةَ إلى الكَتَبَة، وخصُّوهم بالحظوة، وعرَّفُوا لهم فضلَ ما جمعوه من الرأي والصّناعة"[١٨]،

وكانت ملوك الفرس تقول: "الكتَّاب نظام الأمور، وجمالُ المُلْك، وبهاءُ السلطان، والألسنةُ الناطقة عنه، وخُزَّانُ أمواله، والأمناءُ على رعيته وبلاده، وهم أغنى الناس عن المُلوك والرَّعية، وأولاهم بالحبَاء والكرامة، وأحقُّهم بمحبَّة السَّلامة"[١٩]، وبفضل الكتابة تشبه الكتَّاب بالملوك. قال الزبير بن بَكَّار[٢٠]: "الكتَّابُ ملوكٌ وسائرُ الناس سُوقةٌ"[٢١]، وقال ابن المقفع: "الملوكُ أحوجُ إلى الكتَّاب من الكتَّاب إلى الملوك"[٢٢]، ومن كلام الفضل بن أحمد: " للكتَّاب أقرَّت الملوك، وإليهم أُلْقِيَت الأعنَّةُ والأزمَّةُ، وبهم اعتصَمُوا في النازلة والنَّكبة، وعليهم اتَّكلوا في الأهل، والولد، والذخائر، والعقد، وولاة العهد، وتدبير المُلك، وقِرَاع الأعداء، وتوفير الفيء، وحياطة الحريم، وحفظ الأسرار، وترتيب المراتب، ونظم الحروب"[٢٣].

أقسام الكتابة الديوانية:

تتنوَّع الكتابة الديوانية بتنوع الموضوعات التي تشغلها ويجري بها القلم، إلا أنَّ من يتأمل قول القلقشندي الآتي يبصر أنَّ الكتابة لا تخرج عن أصلين مهما تنوَّعت ، يقول: " الكتابةُ وإن كثُرت أقسامُها وتعددت أنواعُها، لا تخرجُ عن أصلين: كتابة الإنشاء، وكتابة الأموال؛ فأمَّا كتابة الإنشاء فالمرادُ بها كلُّ ما رَجَعَ من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام وترتيب المعاني: من المكاتبات، والولايات، والمسامَحَات[٢٤]، والإطلاقات[٢٥]،ومناشير الإقطاعات[٢٦]، والهُدن، والأمانات، والأَيمان، وما في معنى ذلك ككتابة شؤون الحُكم ونحوها. وأمَّا كتابةُ الأموال فالمرادُ بها كلُّ ما رجعَ من صناعة الكتابة إلى تحصيل المال وصَرْفه، وما يجري مجرى ذلك ككتابة بيت المال والخزائن السُّلطانية، وما يُجبى إليها من أموال الخراج وما في معناه، وصرف ما يصرفُ منها من الجاري والنفقات وغير ذلك، وما في معنى ذلك ككتابة الجيوش ونحوها مما ينجرُّ القولُ فيه إلى صنعة الحُسَّاب"[٢٧]، ومن هذا يتضح أنّ الكتابة الديوانية حتى القرنين الثامن والتاسع الهجريين– عصر القلقشندي– لم تخرج عن أصلين ضمَّا كلَّ أشكال الكتابة الديوانية الداخلية والخارجية الصادرة عن الخلافات، والممالك، والإمارات، وهذان الأصلان كما سبق هما: كتابة الإنشاء، وكتابة الأموال.

أهميّة كتابة الإنشاء:

لا تخفى أهمية الكتابة في تنظيم أمور الحكم والأموال في الممالك والدول، والكتابة لا تخرج، كما أفاد القلقشندي، عن كونها أصلين: كتابة الإنشاء، وكتابة الأموال، ولكلٍّ أصل منهما قدر عظيم في حياة الأمم، ولكن إذا ما نظرنا فيما جاء به السلف من تراث، قاصدين المفاضلة بين الأصلين، وجدنا أنَّ أهل التحقيق في الأدب يقدّمون ويفضّلون كتابة الإنشاء على غيرها من الكتابات؛ فكتابة الإنشاء مستلزمة للعلم بكل نوع من الكتابة، ولا بدّ للكاتب أن يكون عالماً بصناعة من يَكْتُبُ له بخلاف كاتب

الأموال. وكتابة الإنشاء تشتمل البيان الدَّال على لطائف المعاني التي هي زبدة الأفكار وجواهر الألفاظ التي تتزين بها المكاتبات، وتستلزم كذلك زيادة العلم، وغزارة الفضيلة، وذكاء القريحة، وجودة الرويَّة، والأهم من ذلك اختصاص كاتب الإنشاء بالسلطان وقربه منه وتعظيم خواصِّه(٢٨).

ولعلّ هذا ما يفسر لنا سبب تقدير الخلفاء والملوك لكتَّاب ديوان الإنشاء وإكرامهم في مختلف العصور، ومنها العصر الفاطمي، فكاتب الإنشاء لا بدَّ أن يكون موسوعةً في مختلف العلوم والآداب، متمرّساً على الكتابة، عارفا أشكالَها، ومن يحصِّل هذا الأمر ويُوفّق أن يكون بليغاً، لا بدَّ أن ينال مرتبةً عاليةً، ويحظى بتشريف الملوك، ويُقدَّم على غيره، وهذا ما دفع الفاطميين لأن يولّوا أمرَ الكتابة إلى مَنْ تفوّق في مجالها، يقول القلقشندي: "ولمَّا وَلِيَ الفاطميّون الديارَ المصريةَ، صرفوا مزيدَ عنايتهم لديوانِ الإنشاءِ وكتَّابه، فارتفعَ بهم قدرُه، وشاعَ في الآفاقِ ذكرُه، ووَلِيَ ديوانَ الإنشاءِ عنهم جماعةٌ مَن أفاضلِ الكتَّاب وبلغائهم ما بين مسلمٍ وذمّيّ"(٢٩)، فالمجال مفتوح لكل شرائح المجتمع، فلم يفرّقوا بين المسلم والذّمّي في هذا الأمر، إلا إنَّ ابن الصيرفي، وهو سابق للقلقشندي، وأحد أشهر الكتّاب الفاطميين، يؤكد ضرورة أن يكون كاتب ديوان الإنشاء متديّناً، وأن يكون دينه الإسلام؛ ويرى العلة في ذلك قرب الكاتب من الملك، وهو بمنزلة الوزير، ولا يجب أن يتخذ لهذا الأمر من خرج عن دين الإسلام(٣٠)، ولا يبدو من هذا أنّ هنالك تناقضا بين ابن الصيرفي والقلقشندي في أمر تدين الكاتب بالإسلام في عهد الفاطميين، فقد وضح ابن الصيرفي المسألة في ذلك عندما قرن هذا الشرط بالفترة التي صنَّف بها كتابه "القانون في ديوان الرسائل" يقول: "فأولُ ما يتَجَنَّبُ الملكُ من نَهَى اللهُ جلَّ جلالُه وتقدَّسَت أسماؤه عن اتخاذه وليًّا، بل الواجبُ على الإطلاق، وخاصةً بحكمِ الوقت الحاضر، أن لا يطَّلعُ على أسرارِه من يخالفُ شريعةَ الإسلامِ لقربِ دارِ العدوِّ خذَلَهُ اللهُ وأبادَه"(٣١)، فابن الصيرفي يشيرُ صراحة إلى أن ديوان الإنشاء استخدم في عهد الفاطميين الكتَّاب من غير المسلمين، ولم يميز فعلا بين المسلم والذمي، إلا أن قرب الفرنجة من الديار المصرية في عهد الفاطميين في نهاية القرن الخامس الهجري أخاف الفاطميين وكتابَهم من الكتَّاب الذميين وقلّة أمانتهم إذا اطلعوا على أمرٍ من أمور الدولة.

ويمكننا أن نتلمس أهمية الكتابة في ديوان الإنشاء من خلال المكانة الأدبية والاجتماعية والسياسية التي حظي بها كتَّاب الإنشاء، فهم الصفوة المثقفة في الأمة؛ إذ حصَّلوا العلوم وتفقهوا في الدين، واستوعبوا من التاريخ والسير والحكم والأمثال واللغة والشعر والعلوم الأخرى ما يعجز غيرهم عن إدراكه. وإذا أنعمنا النظر في قول عبد الحميد الكاتب يخاطب الكتَّاب: "بكم يَنْتَظِمُ المُلْك، وتستقيمُ للملُوك أمورُهم، وبتدبيركُم وسياستِكُم يُصْلِحُ اللهُ سلطانَهم، ويَجتمعُ فيئُهم، وتَعْمرُ بلادُهم"(٣٢)، لأدركنا أهمية الكتابة

والكتَّاب في إدارة شؤون الدولة، فهم في هذا الأمر شركاء الخلفاء وأولي الأمر، وهم المستشارون لهم، والناطقون باسمهم، والمؤتمنون على أسرارهم، شفاعتهم مقبولة، وكلمتهم مسموعة، ولهذا نظر لهم المجتمع نظر إجلال وتعظيم حتى أنهم قُدِّموهم على قوَّاد الجيوش، يقول القلقشندي: "كفى بالكتابة شَرَفاً أنَّ صاحبَ السيف يزاحمُ الكاتبَ في قلمه ولا يزاحُمه الكاتبُ في سيفه"(٣٣)، فهذا مَجد سياسي واجتماعي يضاف إلى المجد الأدَبي الذي ينعم به الكاتب، وسبَب هذا أهمية الأمر القائم عليه وهو الكتابة، فرفعة الكاتب الأدبية، والاجتماعية، والسياسية هي في الأصل رفعة للكتابة، ولكنها تحل في من يتقن مزاولتها، فالكتابة هي أعظم الصناعات وأنبلها؛ لذا كان لا بد لممتهنها أن يكون أنبل الناس وأنبههم، ومن هنا تظهر أهمية الكتابة في ديوان الإنشاء.

ديوان الإنشاء في مصر قبل العصر الفاطميّ:

لقد كان ديوان الإنشاء(٣٤) على مرِّ العصور أحد أبرز مظاهر التقدم الحضاري الإسلامي، وأكبر دليل على رقي الدول و استقرار الحكم فيها، وشكلا من أشكال التمدن التي عرفها العرب.

ومصر منذ أن دخلها الفتح الإسلامي على يد القائد عمرو بن العاص سنة ٢٠هـ /٦٤٠م وإلى أن وليها الطولونيون كانت ولاية تابعة للخلافة (٢٠هـ- ٢٥٤ هـ) لم تعرف ديوان الإنشاء، يقول القلقشندي: "ولم يكنْ لديوانِ الإنشاءِ بالديارِ المصريةِ في هذه المدَّة صَرْفُ عناية"(٣٥). ويؤكد السُّيوطي عدم وجود ديوان للإنشاء في مصرَ بقوله: "وأما مصر فلم يكنْ بها ديوانُ إنشاءٍ من حين فُتحت إلى أيَّام أحمد بنِ طولون"(٣٦).

ويردُّ القلقشندي غياب ديوان الإنشاء عن مصر خلال عهد الولاة (٢١هـ - ٢٥٤هـ) إلى أنَّ مصر طوال مدة حكم الولاة كانت ولاية تابعة لدار الخلافة متضائلة إلى جانبها، وما كان يصدر عن الولاة من مكاتبات لا تحتلُّ تلك المكانة التي تحظى بها المكاتبات الصادرة عن ديوان الخلافة(٣٧)، ويرى في موضع آخر أن هذا الأمر متعلق بتطور النظام الحياتي والإداري الذي تنتظم به الأمم بحسب قربها أو بعدها عن المراكز الحضارية، يقول: "وكان حالُ ديوانِ الإنشاءِ فيهم بحسب ما يكونونَ عليه من الحضارة والبداوة، فأوائلُ الدولِ القريبون عهدا بالبادية لا عنايةَ لهم بكتابة الإنشاء، وإذا استحضَرت الدولةُ صرَفت اهتمامَها إلى ديوانِ الإنشاء وترتيبِه"(٣٨)، فقيام ديوان الإنشاء لا بد له من أمرين : الأول: تنظيم إداري متطوِّر بحاجة إلى ما يرتب الأمور والمكاتبات الصادرة عنه. والثاني: لا بد لقيام ديوان الإنشاء في أية دولة وتحت أية خلافة من استقلال الحكم عن غيره؛ حتى يتعاظم أمره وأمر ما يصدر عنه، وهذا ما أكَّده

الطولونيون الذين أقاموا منارَ ديوان الإنشاء في مصر، في حين ظلت مصر طوال مدة الولاية من دون ديوان للإنشاء.

وهذا الأمر لا يعني أن مصر لم تعرف الكتابة في عهد الولاة، بل وجد في مصر مجموعة من الكتَّاب الذين يكتبون للأمراء، وعرفت مصر كذلك ديوان البريد، يقول المقريزي: "وأمَّا مصر فإنَّه كان بها في القديم، لما كانت دارَ إمارة، ديوانُ البريد، ويُقال لمتولِّيه صاحبَ البريد، إليه يرجعُ ما يَردُ من دار الخلافة على أيدي أصحاب البريد من الكتب، وهو الذي يُطالعُ أخبارَ مصر، وكان لأمراءِ مصر كتَّابٌ ينشئونَ عنهم الكتبَ والرسائلَ إلى الخليفةِ وغيرِه"(٣٩).

وإلى جانب ديوان البريد عرفت مصر ديوان الخراج(٤٠)، وكان يتولاه الكتّاب المشهورون في الشام، فقد ولَّى الخليفةُ سليمانُ بنُ عبد الملك أسامةَ بنَ زيد التنوخي الكاتب(٤١) ديوان الخراج في مصر(٤٢). ويتبيَّن مما سبق أنَّ مصر عرَفت ديواني البريد والخراج، ووُجدت بعض المكاتبات التي تصدر عن هذين الديوانين، إلا أنَّ تبعية الولاية إلى الخلافة كان يمنع وجود ديوان للإنشاء؛ ولعلَّ السبب في ذلك أن وجود ديوان الإنشاء في أية بقعة يعني استقلالها عن غيرها، وكأنه ديوان البلاط في يومنا هذا؛ إذ يستعين الحاكم بديوان البلاط في ترتيب أمور الدولة، وفي الإشراف على كلِّ ما يتعلق بها من مكاتبات وغيرها داخلية كانت أو خارجية.

وما أن نصل إلى عهد الطولونيين (٢٥٤هـ-٢٩٤ هـ) وتأسيس السلطنة الطولونيَّة في الدِّيار المصرية على يد أحمد بن طولون سنة ٢٥٤هـ حتى نبصر عصراً جديداً في حياة ديوان الإنشاء في مصر، فمنذ أن استقرَّ أحمد بن طولون بمصر واستقلَّ بها عن بغداد، وأخذ بتحقيق مآربه السياسية، وتوسعت دائرة أعماله، برزت الحاجة إلى اتخاذ مجموعة كتَّاب يخاطبون بأقلامهم الملوك والخلفاء، يقول القلقشندي: "وأحمد بنُ طولون أوَّلُ من أخذَ في ترتيب المُلك وإقامة شعارِ السلطنة بالدِّيار المصرية، ولما شمخَ سلطانُه، وارتفعَ بها شأنُه أَخذَ في ترتيبِ ديوانِ الإنشاءِ لما يحتاجُ إليه في المكاتبات والولايات"(٤٣). وهذا ما يدل على عظم أمرِ ديوان الإنشاء ودوره في تحقيق استقرار الدولة الطولونية، كونه أساسا تُنظَّم به البلاد ويضبط به الحكم، كما أنه شكل نقطة تحول في اتجاه المكاتبات، فبعد أن كانت العيون لا تبصر إلا ما يصدر عن بلاط بغداد من مكاتبات، أصبحت في العهد الطولوني تطالع مكاتبات صادرة من الديار المصرية لا تقل قيمة عن غيرها، التي تصدر عن العواصم الإسلامية.

ويتضح لنا مما سبق أن ديوان الإنشاء يعدُّ الأساس الأول الذي يحرص الخلفاء والأمراء على تمتينه؛ لأنه متمم أساس ومثبت للحكم، وبه تترتب شؤون الدولة. فهو ضرورة لاستقرار الأمم واستحضارها وتيسيرها وضبط أمورها.

ولكي ينهض ديوان الإنشاء بالمهام الموكَّلة إليه، أدرك ابن طولون ضرورة أن يكون القائم على هذا الأمر من أفاضل الكتَّاب الموثوق ببلاغتهم وترسلهم؛ لذا لجأ إلى كتَّاب من خارج إقليم مصر، فاستكتب ابن عَبْد كَان[٤٤]، يقول القلقشندي: "كان ممَّن اشتهرَ من كتَّابهم، الطولونيين، بالبلاغة وحسن الكتابة: أبو جعفر محمد بنُ أحمد بن مودود بن عَبْد كان، كاتب أحمد بن طولون، وكان مبدأ الكتَّاب المشهورين بها"[٤٥]. وهو بغداديُّ الأصل، ولكن مصر هي التي ظفرت به، وكلُّ الذين ذكروه اكتفوا بمدحه، وذكْر كفايته وبلاغته، فابن النديم يقول: "اسمه محمد... كاتبُ الطولونية كان بليغاً مترسلاً فصيحاً وله ديوانُ رسائل كبير"[٤٦]، ويُروَى أنَّ أهل بغداد كانوا يحسدون مصر على ابن عَبْد كَان الكاتب وطَبْطَبِ المحرر[٤٧].

ومن الكتّاب الذين عملوا في ديوان الإنشاء في العهد الطولوني الحسين بن مُهاجر[٤٨]، الذي انتقل إلى مصر في عهد الولاة واستقر بها، ثم استكتبه أحمد بن طُولُون، وأكثر من إغداق النعم عليّه، حتى قيل: إنَّ مجموعَ ما أَخَذَهُ ابنُ مُهاجر من ابن طُولُون يَقْرُبُ من مائة ألف دينار. ومنهم أيضاً جَعْفَرُ بنُ عبد الغَفَّار[٤٩]، وجعفرُ بنُ حدار[٥٠]، وأحمد بن أَبي يَعْقوب[٥١]، وكان هنالك عدد من الكَتَّاب ممن عملوا في ديوان الإنشاء من الوافدين من خارج مصر، فقد عمل إسحاق بن نصير البغدادي[٥٢]، وأحمد بن أيمن[٥٣]، وأحمد بن محمد الوَاسِطي[٥٤]، وهم جميعاً من العراق، وقد ارتحلوا إلى مصر من للعمل في ديوان الإنشاء.

وهذا دليل على نهضة ديوان الإنشاء في عهد الطولونيين، حيث أدرك أحمد بن طولون قيمة ديوان الإنشاء التي تتأتى من مدى بلاغة وفصاحة الكتَّاب العاملين فيه، ولكثرة ما كان يغدق على الكتَّاب، ويوسع عليهم، ويرفع مكانتهم كان يَقْدِمُ إليه الكتّاب من العراق من أجل نيل هذه الحظوة، وهذا دليل على أنَّ ديوان الإنشاء بمصر في عهد ابن طولون ضاهى بمرتبته ديوان الإنشاء في بغداد.

ومع براعة هؤلاء الكتَّاب، إلا أنَّ أحمد بن طولون كان يفضِّل الكاتب المصري الأصل على الكاتب غير المصري، ويرى أن الكاتب المصري حريص على خدمة الوالي وحمايته، وعلى مصلحة البلاد وجبايتها أكثر من غيره[٥٥].

أما في عهد خُمَارويه بن أحمد بن طولون[٥٦]، فقد تولَّى ديوان الإنشاء إسحاقُ بنُ نصير البغدادي الذي قدم من العراق، فالتمس به ابن عبد كان البلاغة والترسل، واستخدمه في الردِّ على المكاتبات، فلم يزل مع ابن عبد كان إلى أن توفي سنة ٢٧٠هـ، فترأَّس ديوان الإنشاء بعده علي بن أحمد الماذرَّائي[٥٧]، وألزم إسحاق بن نصر البغدادي منزله، ولكن الماذرَّائي لم يكن موفّقاً في الكتابة في حضرة خُمَارويه، فاستخدم بدلاً منه على الديوان إسحاق بن نصر البغداديّ، وطلب منه أن لا يفارقه،

وصرف له مرتباً شهرياً وصل إلى ألف دينار، وبقي على هذا إلى أن توفى سنة ٢٩٧ هـ.

وهذا دليلٌ على أن كاتب الإنشاء في العصر الطولوني كان يحظى بمرتبة عالية، وشهرة في فنِّ الإنشاء، ومما ساعد ابن عبد كان ليحتلَّ مثل هذا المنصب بين الكتّاب، ليكون زعيماً لهم في مصر آنذاك؛ عمله في ديوان البريد بدمشق، وانتقاله للعمل في حمص، فاكسبه كثيراً من النُظم الكتابيَّة، والثقافة الديوانية، التي تعينه على النهوض بديوان الإنشاء.

والجدير بالذكر أن الكتَّاب الذين عُرفوا في عهد الطولونيين وقبلهم هم من الذين اشتهروا بالكتابة وعملوا بها خارج مصر، فسليمانُ بنُ عبد الملك أسامةُ بنُ زيد التنوخي الكاتب من أهل دمشق، وابن عبد كان من بغداد، والمراد من هذا أن مدرسة الكتابة الطولونية في مصر، على يدي هذين الكاتبين وغيرهما، لم تخرج عن حدود المدرسة البغدادية ونظم كتابتها.

وفي عصر الإخشيديين خفت صوت ديوان الإنشاء من جديد، وعاد إلى ما كان عليه قبل أن يدخل أحمد بن طولون مصر- عصر الولاة السابق- فلا نجد كاتباً مشهوراً يمكن أنْ يَحلَّ في مرتبة ابن عبد كان، الذي باهى به ابن طولون كتَّاب بغداد. و كان زعيم الكتَّاب في العصر الإخشيدي إبراهيم بن عبد الله النُجَيْرَميُّ[٥٨]، وَوُصف بأنه كان نحوياً كلفاً بالعلوم العربية الخالصة، وكان لهذا أثر في كتاباته، كما أنَّه عالمَ بوجوه العربية[٥٩]، وظلَّ النُجَيْرَميُّ يعمل في خدمة الإخشيديين حتى اتصل بكافور الإخْشِيْدِي[٦٠].

ومن الكتَّاب الذين عرفوا في عصر الإخشيديين أيضاً: محمد بن كَلا[٦١] الذي كان يكتب لهم، وقد كان موضع ثقة الإخشيد ورسوله إلى العراق[٦٢].

ديوان الإنشاء في مصر في العصر الفاطميّ:

لما تولى الفاطميون أمر الديار المصرية، وقع الاهتمام بديوان الإنشاء، يقول القلقشندي: "ولما وليَ الفاطميونَ الديارَ المصريةَ، صرفوا مزيدَ عنايتهم لديوان الإنشاء وكتَّابه، فارتفع بهم قدرُه، وشاع في الآفاق ذكره"[٦٣]. ومن هذا يتضح لنا أنَّ الفاطميين أدركوا قيمة وجود ديوان للإنشاء في تثبيت مملكتهم في تلك الديار، فأولوا اختيار الكتَّاب المرتبة الأولى من العناية، ولعلَّ الغرض من ذلك حاجتهم لمن يدافع عن مذهبهم، ويمكِّنه في قلوب الناس، فكانوا لا يولُّون عليه إلا أجلَّ الكتَّاب وبلغائهم، هذا الانتقاء أهَّل ديوان الإنشاء الفاطمي ليكون المنافس الأول بين دواوين الإنشاء الموجودة آنذاك .

ويشير المقريزي إلى البداية التي استقل بها ديوان الإنشاء في العصر الفاطمي، وأصبح مؤسسة قائمة بذاتها، يقول: " فلمَّا صارَتْ مصرُ دارَ خلافة، كانَ القائدُ جوهرُ[٦٤] يوقعُ[٦٥] على قصص الرافعينَ، إلى أن قَدمَ المُعزُّ لدين الله[٦٦]، فوَقَّع وجَعَلَ أمرَ الأموال وما يتعلقُ بها ليعقوب ابن كلِّس[٦٧]، فلمَّا كانَت أيامُ المستنصر بالله أبي تميم مَعَدِّ بنِ الظاهر[٦٨]، صرَفَ أبا جعفر المغربي[٦٩]عن وزارته، وأَفردَ له ديوانَ الإنشاء، فَوَلِيَهُ مدَّة طويلةً، وأدركَ أيامَ أمير الجيوش بدر الجماليَ[٧٠]، وصارَ يلي ديوانَ الإنشاءِ بعدَهُ الأكابرُ إلى أنْ انقرضَتْ الدولةَ وهو بيد القاضي الفاضل عبد الرَّحيم بنِ علي البيسانيِّ[٧١]"[٧٢]، فالبداية الحقيقة لديوان الإنشاء التي استقلَّ بها عن البريد، وأصبح مؤسسة إدارية تنتظم فيها أمور الدولة، كانت في عهد المستنصر بالله، عندما صرَفَ وزيره أبا جعفر عن الوزارة، وولاه ديوان الإنشاء. ونلمح من قول المقريزي أنَّ منصب متولي ديوان الإنشاء بعد تولية أبي جعفر المغربي خُصَّ به أكابر رجالات الدولة الفاطمية، وهذا ما يعني أنَّ الكتابة كانت قبل ذلك جزءاً من مهمات الدولة التي يُكلَّف بها من يتقنُها، ولم تكن مستقلة بديوان خاص بها.

ويورد القلقشندي أسماء مجموعة من أفاضل الكتَّاب الذين تولّوا ديوان الإنشاء في عهد الفاطميين، يقول: "وَوَلِيَ ديوانَ الإنشاء عنهم جماعةٌ من أفاضل الكتَّاب وبلغائهم: ما بينَ مسلمٍ وذميٍّ، فكتبَ للعزيز بالله ابن المُعزِّ[٧٣] أبو المنصور بن سُوردينَ النصرانيّ[٧٤]، ثمَّ كتبَ بعده لابنه الحاكم[٧٥] ومَاتَ في أيامه، فكتَبَ للحاكم القاضي أبو الطاهر البَهزَكي[٧٦]، ثم كتبَ بعده لابنه الظاهر[٧٧]، وكَتبَ للمستنصر القاضي وليُّ الدين بنُ خَيرَان[٧٨]، ثمَّ وليُّ الدولة موسى بنُ الحسن[٧٩] قبلَ انتقاله إلى الوزارة، وأبو سعيد العميدي[٨٠]. وكتبَ للآمر[٨١] والحافظ[٨٢] الشيخُ الأجلُّ أبو الحَسن عليُّ بنُ أبي أسامةَ الحلبي[٨٣]، إلى أن توفّي سنةَ اثنتين وعشرين وخمسمائة، فكتبَ بعدَهُ ولدُهُ الأجلُّ أبو المَكارم[٨٤] إلى أن توفي في أيَّامِ الحافظ، وكانَ يكتبُ بينَ يديهمَا الشيخُ الأمينُ تاجُ الرئاسة أبو القاسم عليُّ بنُ سليمان بن منجد المبصري المعروف بابن الصيرفيّ[٨٥]، والقاضي كافي الكفاة محمودٌ بنُ القاضي الموفَّق أسعدُ بنُ قادوس[٨٦]، وابنُ أبي الدَّم اليهوديّ[٨٧]، ثمَّ كَتَبَ بعدَ الشَّيخ أبي المَكارم بن أبي أسامةَ- المتقدِّم ذكرُهُ- القاضي الموفَّقُ ابن الخلَّال[٨٨] أيَّامَ الحافظ وإلى آخر أيَّامِ العاضد[٨٩]، وبه تخرَجَ القاضي الفاضل البَيْساني، ثم شرَّك العاضدُ مع الموفق بن الخلال في ديوان الإنشاء القاضي جلالَ الملك محمود بن الأنصاري وكان في أيامه القاضي المؤتمن كاسيبويه[٩٠]. ثم كتب القاضي الفاضلُ بينَ يدي الموفق بن الخلال قربَ وفاته في سنة ستٍّ وستينَ وخمسمائة في وزارة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، وكتب من إنشائه عدةَ سجلاتٍ ومكاتباتٍ عن العاضد آخرِ خلفائهم"[٩١].

ولا يمكننا الاعتماد على نصِّ القلقشندي في ذكر مَنْ تولّى ديوان الإنشاء أو عمل به كاتبا، فابن الصيرفي يورد لنا أنَّ أبا الحسن طاهر بن وَزِير الذي خدم في مصر كاتبا في ديوان الإنشاء في عهد المستنصر، وهو من أهل طرابلس الشام تولى ديوان الإنشاء[٩٢].

ويأتي المقريزي كذلك بغير الذين ذكرهم القلقشندي في نصِّه، وكان لهم نصيب في تولي الديوان أو الكتابة، فيذكر لنا أن أبا عبد الله الحسين بن جوهر القائد تولَّى ديوان البريد والإنشاء في عهد الحاكم الفاطمي[٩٣]، وكذلك خطير الملك عمار بن محمد[٩٤] تولى ديوان الإنشاء في عهد الحاكم وبقي فيه حتى زمن الظاهر، إلى أن جاء ابن خيران وتولَّى الديوان ثم صرف عنه، وتولَّى أمره بدر الدولة أبو الفتوح موسى بن الحسن[٩٥].

ومن الكتَّاب يذكر المقريزي أبا الحسن ظاهر بن الوزير الطرابلسي أحد الذين تولوا الوزارة في عهد المستنصر الفاطمي، وكان كاتباً في ديوان الإنشاء[٩٦]، وسناء الملك محمد بن محمد الحسيني أحد كتَّاب ديوان الإنشاء في عهد المستعلي الفاطمي[٩٧]، واستمرَّ فيه إلى أن توفي في خلافة الحافظ الفاطمي[٩٨]، ومن الذين كتبوا في ديوان الإنشاء وأطلق عليه كاتب الدَّست في العهد الآمري الشيخ الأجل علي بن أحمد بن الحسن ابن أبي أُسامة[٩٩].

و يذكر من الكتَّاب الفاطميين الجليس بن الجَبَّاب[١٠٠] الذي تولَّى ديوان الإنشاء إلى جانب الموفق بن الخلال في وقت الفائز الفاطمي[١٠١]، ومن الكتَّاب الفاطميين أبو الرضا سالم بن علي بن أبي أسامة، الذي خلف أباه على بن أبي أسامة في مدة الآمر الفاطمي[١٠٢].

ومن الذين كتبوا في عهد الفاطميين واشتهروا ابن أبي الشخباء[١٠٣] صاحب الرسائل الذي كتب في عهد المستنصر الفاطمي.

ومنهم علي بن خيران وهو أحد الكتّاب المشهورين في العهد الفاطمي الذي كتب في عهد الظاهر ثم المستنصر الفاطميين، وكانت رزقه في كل سنة ثلاثة آلاف دينار، وله عن كل ما يكتبه من السجلات والعهود وكتب التقليدات رسوم يستوفيها من كل شيء يحسبه[١٠٤]. وتولَّى ديوان الإنشاء في مصر ابن مَمَّاتي[١٠٥] أحد الكتّاب الفاطميين في عهد المستنصر، وأبو جعفر المغربي متولي ديوان الإنشاء في عهد المستنصر[١٠٦].

أثر ديوان الإنشاء في الكتابة في مصر العصر الفاطميّ:

نال كاتب الإنشاء مرتبة مرموقة في الدولة الفاطمية تتناسب وحاجتها لكلٍّ بليغ فصيح، يقول ابن الصيرفي فيمن يتولى الكتابة في ديوان الإنشاء: "فإنَّه بمنزلة كبيرة، ورتبة خطيرة يتحكمُ بها في أرواحِ النَّاسِ وأموالِهم"(١٠٧)، وقد نال كاتب الإنشاءِ جاهاً وثراءً بقلمه لم ينله غيره بسيفه، يقول المقريزي واصفاً المكانة الاجتماعية لكاتب الإنشاء: "وهو أوَّلُ أرْبابِ الإقطاعاتِ وأرْبابِ الكُسْوَةِ والرُّسومِ والمُلاطفات(١٠٨)، ولا سبيلَ أن يدخلَ إلى ديوانه بالقصرِ، ولا يجتمعَ بكتَّابِه أحدٌ إلا الخواصُّ، وله حاجبٌ من الأمراءِ الشيوخِ وفرَّاشونَ، وله المرتبةُ الهائلةُ، والمَخَادُ، والمَسْنَدُ، والدَّواةُ(١٠٩) لكنَّها بغيرِ كرسي، وهي من أخصِّ الدُّوى، ويحملُها أستاذٌ من أستاذي الخليفة"(١١٠)، كما أنه أصبحَ أقرب الناس إلى الخليفة والملك، يستشيره في جلِّ أموره، ويودعه أسراره، حتى أنه لا يستغنى عنه لا في ليل ولا في نهار، يقول المقريزي: "وإليه تُسلَّمُ المكاتباتُ الواردةُ مختومةً فيعرضها على الخليفةِ من يَدِه، وهو الذي يأمرُ بتنزيلها والإجابةِ عنها للكتَّاب، والخليفةُ يستشيرُه في أكثرِ أمورِه، ولا يُحجبُ عنه متى قصدَ المثولَ بينَ يديه، وهذا أمرٌ لا يصلُ إليه غيرُه، وربما باتَ عندَ الخليفةِ ليالي، وكان جاريه مائةً وعشرين ديناراً في الشهر"(١١١)، فقد شرَّف الفاطميون الكتَّابَ البلغاء فأغدقوا عليهم من العطاء وأحلُّوهم مكانة اجتماعية تنافس عليها الكتَّاب، فكلٌّ من آنس من نفسه القدرة والبلاغة، ودرَّب قلمه ونفسه على مكاتبة الخلفاء ومجالستهم ، سعى لنيل هذا الشرف.

وقد ترك التنافس بين الكتَّاب لمثل هذه المكانة أثراً واضحاً في تطور أساليب الكتابة بين الكتاب، فكلُّ كاتب يحاول أن يقدم أسلوباً كتابياً أكثر فصاحة وبياناً، يتفوق به على غيره من الكتَّاب، ويقدمه لينال التشريف والحظوة التي خص بها الفاطميون الكتَّاب.

ومن أراد أن يحظى بتلك المكانة، التي مني بها كاتب الإنشاء، لينعم بذاك العطاء، لا بدَّ له من إعداد طويل يستغرق سنوات من التحصيل والمران. فعليه أن يأخذ بجميع الآداب والعلوم ليستطيع أن يتجاوزَ أقرانَه في هذا الميدان. يقول ابن الصيرفي في حديثه عن متولي الكتابة: "ويجبُ أنْ يكونَ من البلاغةِ والفصاحةِ إلى أعلى رتبةً وأسنى منزلةً، وبحيث لا يوجدُ أحدٌ في عصره يفوقُه في هذا الفنِّ؛ فإنَّه لسانُ السلطانِ الذي ينطقُ به، ويدُه التي يكتبُ بها. ورُبَّ كاتبٍ بليغٍ أصابَ الغرضَ في كتابته فأغنى صاحبَه عن الكتائب، وأعملَ القلمَ فكفاهُ إعمالَ البيضِ القواضب"(١١٢)، فهذا إشارة واضحة لابن الصيرفي أحد أعلام الكتابة في العصر الفاطمي، يؤكد فيها التنافس الحاد بين الكتَّاب للوصول إلى فصاحة وبلاغة عاليتين، تجعله الوحيد الذي يستحق أن يولى أمر الكتابة والكتَّاب بين أقرانه، وينعم من ثم بميزاته الاجتماعية والسياسية التي جعلها الفاطميون بها للكتَّاب.

ولا بدَّ لمن أراد أن يتدرب على الكتابة، ويدخل مضمار التنافس من مدرسة، يحصِّل فيها تلك الثقافة الديوانية، وديوان الإنشاء هو المكان الذي يتدرب فيه الكاتب ليصل من البلاغة والفصاحة مكانة عليَّة، حيث شكَّل ديوان الإنشاء عبر العصور مدرسة يجمع فيها الكتَّاب شتى المعارف والعلوم ويمرّنون أنفسهم على الإنشاء البليغ، حتى أصبح المؤسسة الأولى التي يُنظر إليها بين مؤسسات الدولة، وأصبح تعلم الكتابة واجباً اجتماعياً، خاصة لدى أرباب القوم، فيحدّثنا القاضي الفاضل: "إنّه كان من عادة أرباب الدواوين في تربية أبنائهم أنَّهم كانوا يرسلونَ هؤلاء الأولاد إلى ديوان المكاتبات ليتعلمَ فنَّ الكتابة ويتدربَ ويرى ويسمعَ، فأرسلني والدي، وكان إذْ ذاك قاضيا بثغر عسقلان، إلى الديار المصرية في أيام الحافظ، وأمرني بالمسير إلى ديوان المكاتبات، وكان الذي يرأسُ به في تلكَ الأيام رجلٌ يقالُ له: ابن الخلّال، فلما حضرتُ الديوانَ، ومثلتُ بينَ يديه، وعرَّفته من أنا وما طلبي رحَّبَ بي وسهل، ثم قال: ما الذي أعددتَه لفنٍّ الكتابة من الآلات؟ فقلت: ليس عندي شيء سوى أنّي أحفظُ القرآنَ العزيزَ وكتابَ الحماسة، فقال: وفي هذا بلاغٌ، ثم أمرني بملازمته، فترددتُ عليه وتدربتُ بينَ يديه، ثم أمرني بعدَ ذلك أنْ أحلَّ شعرَ الحماسة فحللتُه من أوله إلى آخره، ثمَّ أمرني أن أحلَّه مرةً ثانيةً فحللتُه"(١١٣)، ومثلُ هذا النص يحمل قيمة تاريخية كبيرة، ففيه إشارة على لسان رجل نال شهرة لم ينازَعه عليها أحد في عهده، وهو القاضي الفاضل، الذي يروي أمرا مهمّا في سيرة حياة الكتابة العربية، فالكتابة لعلوّ شأنها أصبحت منال كبار القوم وأرباب الديار آنذاك، يدفعون أبناءهم لتعلمها؛ لأنهم يعلمون أنَّ مَنْ أصاب الكتابة فقد نال رتبة جليلة، وحسب الرواية يتضح لنا أنَّ مصر أصبحت في ذلك الحين قبلة يتوجَّه إليها كلُّ من أراد تعلُم هذا الأسلوب الكتابي.

ويتضح مما سبق أنَّ للكتابة آلات لا بدَّ لمن أراد الكتابة أن يتسلح بها، فالموهبة وحدها لا تكفي كما هي الرغبة التي لا تكفي أيضا لتعلم الكتابة، ولا بدَّ لمن أراد أن يجعل قلمه فصيحا بليغا أن يمتلك ثقافة ديوانية تعدُّه للدخول في عالم الكتابة والكتَّاب، فحفظ القرآن الكريم وأشعار العرب، والتدرب على حلِّها من أهم مواد الكاتب التي يجب أن يعدها لتعلم الكتابة .

وفي النص إشارة صريحة وواضحة إلى أنَّ ديوان الإنشاء لم يكن يعنى بإصدار المكاتبات فقط، وإنما يقوم على تهيئة الكتَّاب وفق منهج علمي، فابن الخلّال لم يكتفِ بما جاء به القاضي الفاضل من حفظ القرآن وكتاب الحماسة، بل جعله ملازما له، يأخذ عنه أخلاق الكتَّاب التي يتصفون ويمتازون بها عن غيرهم، و يتتبعه في كل ما يكتب، ويتلقى منه الأوامر الأدبية، التي تجعل كتابته متفقة والأساليب العربية، فينال بذلك المرتبة التي بحث عنها.

ومما تقدم نرى أنَّ الكتَّاب في العصر الفاطمي يتلقون تدريبا منهجيا على الكتابة في ديوان الإنشاء، ويشرف عليهم من تفوق في هذا الفن، ودليل ذلك ما ذكره القلقشندي عندما مرَّ بذكر الكتَّاب الذين ترأسوا ديوان الإنشاء في حضرة الفاطميين، فقد أشار إلى أنَّ تاج الرياسة ابن الصيرفي، والقاضي الموفق أسعد بن قادووس، وابن أبي الدم اليهودي كانوا يكتبون في ديوان الإنشاء في عهد الآمر الفاطمي، وكان يشرف على مكاتباتهم الشيخ الأجل علي بن أبي أسامة وابنه أبو المكارم(١١٤).

فديوان الإنشاء أثَّر بشكل جلي في تطوِّر الكتابة في الديار المصرية، فإلى جانب دوره في تنظيم أمور الدولة وإصدار المكاتبات الداخلية والخارجية، كان لحقبة طويلة مدرسة أدبية يجتمع فيها أعلام الكتابة وأئمة النثر العربي، وكان معهداً يتخرج فيه كلُّ من أراد أن يعملَ كاتباً. أمثال ابن أبي الشخباء، وابن الصيرفي، وابن قادووس، وابن الخَلَّال، والقاضي الفاضل وغيرهم، الذين حملوا بأقلامهم لواء الكتابة المصرية، ونافسوا بها كتَّاب عاصمة الخلافة بغداد، فبعد أن كانت الألسن لا تتناقل إلا ما يصدر عن ديوان الخلافة ببغداد، أصبحت المكاتبات الصادرة عن الديوان المصري محطَّ اهتمام الكتَّاب والمؤرخين.

ولا يقف دور ديوان الإنشاء وأثره في الكتابة الفاطمية عند حدِّ التأهيل، فقد نال أهمية سياسية وتاريخية إلى جانب الأهمية الإدارية، رفعت القيمة الأدبية والتاريخية للمكاتبات الصادرة عن ديوان الإنشاء، فلم تعد كتابة يتفنن بها كاتب الإنشاء مُظهراً بلاغته وفصاحته، وإنما كتابة تحمل في أحشائها فكرا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا؛ إذ حرص الفاطميون فيما يصدر عن دواوينهم على تسجيل كل دقيقة وعظيمة في سجل يخرج من الديوان(١١٥)، فإذا انتقلت الإمامة(١١٦) من إمام مضى إلى وصيّه خرج بذلك سجل من الديوان، وإذا عُيِّن شخص في إحدى وظائف الدولة خرج سجل بذلك، وإذا أرادوا تحويل السنة الخراجيَّة إلى السنة الهلاليَّة خرج سجل بذلك، وإذا ركب الخليفة في مختلف المواسم والأعياد خرج السجل بذلك من ديوان الإنشاء، وهذا ما يوجب على الكاتب أن يكون ملمّا بعلوم الأدب آخذا بكلّ فن من فنون عصره بطرف، حتى إذا وردت مسألة دينية، أو سياسية، كان مستطيعا أن يخوض فيها(١١٧)؛ لهذا حرص الفاطميون على أن يولُّوا ديوان الإنشاء أفاضل الكتاب، يقول القلقشندي:" وكان هذا المنصبُ لا يتولاهُ في الدولة الفاطمية إلا أجلُّ كتَّاب البلاغة"(١١٨)، ونتيجة ذلك جاءت السجلات الصادرة عن ديوان الإنشاء الفاطمي منسجمة مع بلاغة أولئك الكتَّاب، قوية في أسلوبها، نلحظ فيها ثقافة الكاتب الأدبية، وسعة اطلاعه على التاريخ، ومعرفته بأمور الدين.

ولم يقف الفاطميون عند هذا الحد من العناية، بل أدركوا أهمية وجود قانون يضبط به ديوان الإنشاء، ويضع الحدود التي ترقى بالكتابة، غايتهم في ديوان الإنشاء،

فجاءت محاولات بعض الكتَّاب الفاطميين بحكم بلاغتهم وخبرتهم وعملهم في ديوان الإنشاء فوضعوا العديد من المصنَّفات التي تهتمُّ به وبتنظيمه، لتكون فيما بعد مرجعا يعتمده كلُّ من وجد في نفسه رغبة في الكتابة.

ومن أشهر الكتب التي صُنِّفت في العصر الفاطميّ، واهتمت بالكتابة الفنيَّة في ديوان الإنشاء كتاب "مواد البيان" لعلي بن خلف الكاتب. وصاحب هذا الكتاب لا نعلم عنه شيئا سوى أنه كان أحد كتَّاب ديوان الإنشاء في الدولة الفاطميّة، وله الكتاب المذكور الذي كثيرا ما نقل عنه صاحب صبح الأعشى وغيره.(١١٩)

وقد جاء كتاب مواد البيان في عشرة أبواب، بدأها بحديث عن فضيلة الكتابة ومنفعتها وأقسامها، متناولا بعد ذلك العلوم والآداب التي تلزم كل من أقبل على هذه الصناعة، فتحدث عن البلاغة مبينا أقسامها، والبديع وأبوابه، وما يُخرج الكتابة عن أحكام البلاغة، ومنهج السابقين في الكتابة، والخطّ وقوانينه، وأشكال المكاتبات الديوانية، وكل ما يلزم الكاتب ولم يجتمع له في مصنف واحد.

ويبين المؤلف سبب تصنيف الكتاب في الباب الأول؛ فلفضيلة الكتابة ولأنها أنبل الصناعات وأكثرها خطرا وأثرا على أصحابها، أراد أن يصنِّف كتابا جامعا لما تحتاجه هذه الصناعة من العلوم والآداب الخاصة، فيجد الكاتب فيه الفروع والأصول التي نثرها المؤلفون في مصنفاتهم مجتمعة في هذا الكتاب.(١٢٠)

ومن المصنفات التي عنيت بتنظيم ديوان الإنشاء وعدَّت دستورا كتاب ابن الصيرفي "القانون في ديوان الرسائل"، الذي أراد منه أن يكون قانونا تُعرف به صفات من يجب أن يُولَّى رئاسة الديوان، وواجباته، ومن يأتي تلوه في المنزلة من المعاونين، والشروط التي تؤهلهم جميعا للعمل في هذا الديوان، ويبين الطرق التي يجب أن تتبع في ديوان الإنشاء لضبط أموره وتجنب وقوع الفساد أو الاختلال، ويجب على كل من يعمل في الديوان– كما يرى ابن الصيرفي– أن يأخذ بفهم وحفظ كل ما في هذا الكتاب، فهو دستور يستضيء بنوره كلُّ من يعمل في هذا الديوان.(١٢١)

ويرى ابن الصيرفيّ أنَّ أكثر الناس نفعاً من هذا الكتاب هم الملوك؛ فإنّهم متى اعتمدوه في اختيار كتَّابهم، وجاءوا– الكتَّاب – محققين لتلك الشروط التي وجبت في كلٍ منهم كما وردت في الكتاب، أمِن بذلك من اختلال أمورٍ كثيرة في دولته، ودخول العيب على مَن في خدمته. (١٢٢)

ولعلنا نلحظ فيما يورده ابن الصيرفي من حديث عن هذا الكتاب وأهميته أمراً بالغ الأهمية، وهو أن المُلك أو الدولة تصلح بصلاح ديوان الإنشاء فيها؛ فتنظيم ديوان الإنشاء يفضي إلى تنظيم الدولة، وبصلاح كتَّابه يصلح الحكم، وهذه إشارة واضحة إلى

أنَّ ديوان الإنشاء هو المؤسسة الأولى في الدولة، وأنَّ الكتَّاب هم بطانة الحاكم وأقرب الناس إليه في الدولة، وهذا ما دفع ابن الصيرفي لأن يجعل صفات الديْن والورع والأمانة أولى الصفات التي تشترط فيمن يتولى رئاسة الديوان.(١٢٣)

فأثر ديوان الإنشاء بدا واضحاً في الكتابة في العصر الفاطمي نتيجة لأهمية هذا الديوان في تنظيم حياة الأمم خاصة الفاطميين في مصر، الذين وجَّهوا عنايتهم لكل ما يتعلق بهذا الديوان، فأهَّلوا الكتَّاب البلغاء، واعتنوا بكل ما يصدر عن ديوان الإنشاء من مكاتبات خاصة ما يتعلق بالخليفة، وتحرَّوا الدقة المتناهية في اختيار بلغاء الكتَّاب، حتى إذا ثبتت بلاغتهم أغدقوا عليهم العطاء، ونالوا المرتبة الاجتماعية العالية، يتنافسون عليها بأقلامهم وتنوع أساليب كتابتهم.

كما أنَّ حرص الكتَّاب أنفسهم على الكتابة دفعهم لوضع المصنفات التي تبين الحدود التي يختار على أساسها الكاتب؛ فتوفرت فيه صفات الكاتب، وتسلح بالعلوم والآداب التي تعينه على الكتابة، كلُّ هذا وغيره دفع الكتابة في عصر الفاطميين لتكون أنموذجا كتابيًّا ينافس النماذج الكتابية خارج الديار المصرية.

متولّي ديوان الإنشاء:

عندما نتحدث عن متولي ديوان الإنشاء في العصر الفاطمي، فإننا ندور في فلك أمرين: الأول: مكانته التي يحظى بها بين غيره من الكتَّاب، وهي مكانة عالية بين أقرانه من الكتَّاب، أساسها حسن الترسل وبلاغة اللسان، فمتولي ديوان الإنشاء، أو متولي الرسائل، كما يشير إلى ذلك علي بن خلف الكاتب في مصنفه(١٢٤)، هو من يترأس طبقات الكتَّاب، وهو لسان حال الملك الناطق بحجته(١٢٥)، يحظى بمنزلة كبيرة ورتبة خطيرة، يتحكم فيها في أرواح الناس وأموالهم(١٢٦)، وهو من أجلِّ الكتَّاب، إذ يخاطب بالشيخ الأجل، ويقال له: كاتب الدَّست الشريف(١٢٧)، وهو أول أرباب الإقطاعات، وله حاجب من الأمراء، وله المرتبة الهائلة(١٢٨).

ومما سبق يتبيَّن لنا مدى العناية التي لقيها متولّي ديوان الإنشاء الفاطمي من قبل أسياده، فقد حظي بمكانة لم ينلها غيره، ولا غرابة في مثل هذا الأمر؛ فمتولي الديوان لسان حال الخليفة، وقلمه الذي تُخط به المكاتبات، ولا بدَّ أن يكون اللسان فصيحا، والقلم بليغا، حتى تتجلَّى عظمة الخليفة، وتزداد هيبته في قلوب الناس، ولا بدَّ بالتالي من هيبة لأقرب الناس منه وهو متولّي ديوان الإنشاء؛ لذا فقد نال المكانة الهائلة، وحظي بإغداق الخليفة عليه من النعم، فكان مهيبا ممَّن هم دونه من الكتَّاب والناس عامة، ومهيَّئا لمجالسة الخليفة، وبثّ دعوته، والدّفاع عنه.

أما الأمر الثاني فهي صفات متوليّ ديوان الإنشاء التي يتحلَّى بها وتؤهله لمثل هذه المكانة، فعليه أن يتقدَّم الكتَّاب الذين يترأسهم بما خص بـه مـن وقـار العلـم، والحكمة، ورجاحة الفهم، وبعده عن الطيش وخفة الأحلام، وزلل اللسان[١٢٩]. ويـرى ابن الصيرفي أنَّ أوَّل ما يجب أن يكون عليه متولي ديوان الرسائل "أنْ يكونَ صـاحبَ دين وورع وأمانة؛ فدينُهُ يمنعُهُ عن ارتكاب الآثام، وورعُهُ يبتعدُ به عن الفتك بالمحارم، وأمانتُهُ تمنعُهُ منْ أنْ تمتدَّ يدُهُ إلى رشوى"[١٣٠]، ويلاحظ أن ابن الـصيرفي فَـي هـذا الموضع يأتي بالصفة ثم يتبعها بعلة الاختيار، فالدين يجنب الكاتب الآثـام، والـورع يقصيه عن هتك المحارم، والأمانة ترتقي بالنفس عن الرشوى، كما أنه يقدم صفة الدين على البلاغة والعلم، ويؤكد في موضع آخر أن يكون دينة الإسلام، مفسرا ذلك بقولـه: "ويجب أن يكون دينه الإسلام؛ لأنه من الملك بمنزلة الوزير، والـوزير مـشتق مـن المؤازرة، والمؤازرة هي المساعدة والمعاونة والمظاهرة، ولا يجب أن يتخذ لهذا الأمر من يخرج عن دين الإسلام"[١٣١]؛ ولعلّ ما دفع ابن الصيرفي إلى مثل هذا التحديد هو أنَّ الفاطميين لم يفرِّقوا بين مسلم وذمّيّ في تولية ديوان الإنشاء[١٣٢]، ووجد أن إصـلاح مثل هذا الأمر واجب، خاصة في المرحلة التي صنَّف كتابه فيها[١٣٣]، حيث شعر بخطر الكاتب غير المسلم على المسلمين، إذ كان العدو على مقربة من دار الخلافة، وكاتـب الإنشاء مطَّلع على أسرار الملك وأسرار الدولة، فلا يُؤمَن جانبُه إن لم يكن مسلما، كما أنَّ المسلم أكثر حفاظا على الأسرار وحرصاً على مصالح المسلمين.[١٣٤]

ولابدَّ لهذا الكاتب "أن يتمذهبَ بمذهب الملك"[١٣٥]، فابن الصيرفي لا يكتفي في ذكر صفات متولّي الديوان بالدين وكونه الإسلام، بل يَذهب إلى أبعد من ذلك ليكـون أكثـر تحديدا حينما يجعل التمذهب بمذهب الملك من صفات متولي ديوان الإنشاء، ويشير إلى أن قرب الكاتب من الملك إلى هذا الحد يجعله مجتهدا في خدمتـه، مخلـصاً لـه فـي نصيحته، فهما على مذهب واحد- المذهب الإسماعيلي- والملكَ أو الإمام لـه أسـرار تخصّ مذهبه الذي هو عليه، ولا يجوز للمسلمين من غير هذا مذهبه أن يطلعوا علـى تلك الأسرار، ولهذا لا بدَّ له من كاتب على مذهبه يجنبه التحفظ على الأسرار، والحـذر إن لم يكن على مذهبه.[١٣٦]

ولما كان رئيس ديوان الإنشاء هو المستشار في جليل الأمور، فلا بدَّ أن يكون ممكنا من عقله، فإنَّه إن كان تامَّ العقل، كاملَ الرأي، وضع الأشياءَ فيما ينـشئ فـي مواضعها، وخاطب كلَّ واحد بمـا يناسـبه الخطـاب، فـي الـشدَّة واللـين والرفعـة والحطَّة.[١٣٧] وفي مجال المؤهلات الأدبيَّة التي يتحلى بها رئيس ديوان الإنشاء فإنَّ عليه أنْ يكونَ بليغاً فصيحاً، لا يوجد أحدٌ في عصره يفوقه في هذا الفن، فهو لسانُ الملك الـذي إنْ هدَّد ملأ القلوب رعباً وخوفاً، و إن شكرَ ملأ النفوسَ مسرَّة وهدوءاً، و إن عَظَّم فخَّم وأحسنَ التعظيم. وينبغي له أنْ يكونَ ملماً و متمكناً بفنون الكتابة، عالماً بأصولها، وأن

لا يسبقه أحدٌ إلى هذا، فإنه الأصل الذي يرجع إليه باقي الكتَّاب، وهو من تُعرض عليه كتبُهُم فيتصفَّحها، ويحكم عليها، وعليه أن يكونَ أكثرَهم بفنونِ الكتابةِ ونقدِها درايَة، و إن تقدَّمه أحدٌ بهذا كان أولى بمكانه منه. (١٣٨)

وعلى متولي ديوان الإنشاء أن يكون حافظاً لكتاب الله تعالى، ملماً بأخبار رسوله، صلَّى الله عليه وسلَّم، راوياً لأخبار الملوك الماضين، فإنَّه أحوجُ الناسِ إلى ذلك؛ للاستشهاد بهذا في مكاتباته، وينبغي أنْ يكون عارفاً بالفقه، يعلمَ الحلالَ منَ الحرام؛ ليجيبَ متى سُئلَ عن ذلك، ويجب أن يكون حافظاً للأشعار، راوياً للكثير منها، واجداً لها متى أرادَ الاستشهادَ بها، فربما حلَّ المنظومَ فأتى به منثوراً في طيات كتابِه، فللمنظوم أثر على النفس لا يأتي به المنثور.(١٣٩)

ويلزمه أن يكونَ ملماً بعلوم العربيَّة وتصريفها، فإنَّه بحاجة ماسة لها، ليتكلَّم بألفاظ الفصحاء، وعلمِ البلغاء، لا يخفى عليه شيءٌ مما يجري به المكاتبات، ويكثر في المحاورات، مبتعداً عن الحوشي من الكلام والغريب من الألفاظ.(١٤٠)

وفي مجالي الخَلْق والخُلُق لا بدَّ له أن يكونَ صبيحَ الوجه، فصيحَ الألفاظ، طلقَ اللسان، فهو في حضرة الملك، يراه ويحاوره دائماً، وعليه أن يكونَ وقوراً، حليماً، مؤثراً للجدِّ على الهزل، محبَّاً للشُّغل أكثر من محبَّته للفراغ، كثيرَ الأناة، قليلَ العجلة،حسنَ الكلام والإصغاء، محبَّاً لأهل العلم والأدب، يُهدي النصيحة إلى الملك دون أن يُوجِدَ الخَلل فيما رآه، ويكون ذا أصل وحسب في قومه، بعيدا عن الدناءة في الأب، والذمامَة في المكسب، فكلُّ إنسان مردُّه إلى أصله.(١٤١)

وعليه أن يكون كاتما للسر لا يدانيه في هذه المنزلة أحد ، يتناسى كلَّ خبر يسمعه، فإنَّه بهذا ينتفع وينفع الملك، وعليه أن يسند الرأي الصواب إلى الملك لا إليه، فإن تحدَّث الملك وأصاب في رأيه أشاع ذلك، وعظَّمه، وفخَّمه، وكرَّره على الناس، وأوجب على الناس حمده، وإن قال الملك قولا ولم يصب به، انتظر إلى الخلوة معه ليكشف له الستار عما أخطا، مبينا له وجه الصَّواب، وعليه أن يتابع الملك دالَّه الأخلاق والطِّباع الشَّريفة التي يثبِّت بها حكمه ورأيه في قلوب الناس.(١٤٢)

ويمكننا أن ندرك مما سبق مدى العناية الفائقة التي أحلّها الفاطميون بديوان الإنشاء وكتّابه، وندرك كذلك أهمية ديوان الإنشاء في ترتيب الأمور السياسية والإدارية في الدولة، حيث شكل مظهراً مهماً من مظاهر الاستقرار في الدولة الفاطمية في مصر، وأهميته في تطور الأساليب الكتابية ونهضة النصوص النثرية التي حبرها الكتّاب آنذاك، إذ شكّل ديوان الإنشاء مدرسة أدبية يتأهل فيها كلّ من وجد في نفسه الرغبة والقدرة على تعلم الكتابة.

كما نلحظ مما سبق مدى عناية الفاطميين بالكتّاب القائمين على تولي أمر الديوان وكتابة السجلات، بالإضافة إلى الإشراف على الكتّاب والمكاتبات فيه، والمكانة التي نالها متولي ديوان الإنشاء بحكم قربه من الملك، وحصانته، وكثرة الصلاحيات التي وضعت بين يديه، وإنَّ الناظر في تلك الصفات التي اشترطت فيمن يتولَّى أمر ديوان الإنشاء، لا يساوره الشكُّ بأنه هو الحاكم الحقيقي للدولة، فهو المستشار، وكاتم الأسرار.

قائمة المصادر والمراجع

(١) القرآن الكريم.

(٢) أحمد أحمد بدوي، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، الطبعة الثانية، دار مصر للطباعة والنشر، القاهرة.

(٣) أحمد الأسكندري وآخرون، المنتخب من أدب العرب، المطبعة الأميرية، بولاق، ١٩٤١م.

(٤) البقلي، محمد قنديل، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م.

(٥) أبو شامة، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، الطبعة الأولى، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة.

(٦) القلقشندي، أحمد بن علي (٨٢١هـ). صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الفكر، ودار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

(٧) الأصفهاني، العماد، خريدة القصر وجريدة العصر(قسم شعراء مصر).

(٨) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: د إحسان عباس، دار صادر، بيروت،١٩٧٧م.

(٩) الرفاعي، عبد العزيز، من عبد الحميد الكاتب إلى الكتَّاب والموظفين، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م، ٤٩- ٥٠.

(١٠) ابن الصيرفي، علي بن منجب، القانون في ديوان الرسائل، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية.

(١١) الكتبي، محمد بن شاكر، محمد شاكر (ت٧٦٤هـ)، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

(١٢) علي بن خلف الكاتب، مواد البيان، تحقيق: حسين عبد اللطيف، منشورات جامعة الفاتح، ليبيا، ١٩٨٢م.

(١٣) القضاعي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر، (ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، الحُلة السِّيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ط١، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م، ١: ٢٥).

(١٤) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت٨٤٩هـ). حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٨م.

(١٥) المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ). المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تحقيق: د أيمن فؤاد سيِّد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن،٢٠٠٢م.

(١٦) الأندلسي، ابن سعيد، المُغرب في حُلى المَغرب- القسم الخاص بمصر، عني به وحققه: د شوقي ضيف وآخرون، فؤاد الأول، ١٩٥٣م.

(١٧) الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس، الوزراء والكتَّاب، ط١، (تحقيق: مصطفى السقا وآخرون)، مطبعة مصطفى البابي، ١٩٣٨.

(١٨) النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب، كتاب الفهرست، تحقيق: رضا- تجدَد، طهران، ١٩٧١م.

(١٩) الحموي، ياقوت. معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م.

(٢٠) محمد كامل حسين، الحياة الفكرية والأدبية بمصر من الفتح العربي حتى آخر الدولة الفاطمية.

(٢١) ابن مُيَّسر، تاج الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن يوسف، (ت٦٧٧هـ). المنتقى من أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨٠م.

(٢٢) ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: د علي محمد عمر، ط١، الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م.

(٢٣) ابن الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، و المناوي، د محمد حمدي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف بمصر.

(٢٤) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط ٢، مركز تحقيق التراث، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٥م

(٢٥) الخريدة – قسم شعراء مصر، ١.

(٢٦) محمد كامل حسين، في أدب مصر الفاطمية، ط١، دار الفكر العربي، ١٩٥٠م.

(٢٧) المعلم، محسن علي، العقائد من نهج البلاغة، الطبعة الأولى، دار الهادي، بيروت، ١٩٩٩م.

(٢٨) ابن منظور ٦٣٠- ٧١١هـ، لسان العرب، ط٣، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩م.

(٢٩) الأندلسي، ابن سعيد، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة- القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلى المغرب، (تحقيق: حسين نصار)، مطبعة دار الكتب المصرية، ٢٠٠٠م.

(٣٠) النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات، ط١، تحقيق: الشيخ علي محمد معوّض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار النفائس، ٢٠٠٥م.

هوامش البحث:

١- سورة العلق: ٣، ٤، ٥.

٢- سورة الانفطار: ١٠، ١١.

٣- سورة القلم: ١.

٤- سورة آل عمران: ٤٨.

٥- أبو عثمان وقيل أبو عبد الرحمن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاصي بن أمية بن عبد شَمس، من الصحابة وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان. (ينظر: النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات، ط١، تحقيق: الشيخ علي محمد معوّض و الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار النفائس، ٢٠٠٥م، ٣٠٨- ٣٠٩).

٦- القلقشندي، أحمد بن علي (٨٢١هـ). صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الفكر، ودار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ١: ٦٥.

٧- أبو الوليد معن بن زائدة الشيباني، كريم، شجاع، كثير المعروف، ولي سجستان أواخر أمره وانتقل إليها، وقتل فيها على يد الخوارج سنة ١٥٢هـ (ينظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: د إحسان عباس، دار صادر، بيروت،١٩٧٧م، ٥: ٢٤٤- ٢٥٤).

٨- القلقشندي، صبح الأعشى، ١: ٦٥.

٩- من كتَّاب الإنشاء في الدولة الفاطمية، وله في مصطلح الإنشاء كتاب مواد البيان، وكثيراً ما ينقل عنه صاحب صبح الأعشى. (ينظر: أحمد الأسكندري وآخرون، المنتخب من أدب العرب، المطبعة الأميرية، بولاق، ١٩٤١م، ٢ : ١٠٥ هـ١)

١٠- علي بن خلف الكاتب، مواد البيان، تحقيق: حسين عبد اللطيف، منشورات جامعة الفاتح، ليبيا، ١٩٨٢م، ٣٨.

١١- المصدر نفسه، ٥٢.

١٢- ابن الصيرفي، علي بن منجب، القانون في ديوان الرسائل ، تحقيق : أيمن فؤاد سيد ، الدار المصرية اللبنانية، ٣-٤.

١٣- أبو الفداء ابن كثير، إسماعيل بن علي بن محمود، الملك المؤيد، صاحب حماة، مؤرخ، جغرافي، قرأ التاريخ والأدب وأصول الدين والفلسفة والطب، توفي سنة ٧٣٢هـ (ينظر: الكتبي، محمد بن شاكر، محمد شاكر (ت٧٦٤هـ)، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١: ١٨٣- ١٨٨).

١٤- القلقشندي، صبح الأعشى، ١: ٦٥- ٦٦.

١٥- أبو جعفر الفضل بن أحمد بن عبد الله، أمير المؤمنين المسترشد بالله بن المستظهر بن المقتدى، بويع بالخلافة سنة ٥١٢هـ (ينظر: الكتبي، فوات الوفيات، ٣: ١٧٩).

١٦- فِدامة: المصفاة والأبريق ونحوه. (ينظر: ابن منظور ٦٣٠- ٧١١هـ، لسان العرب، ط٣، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩م، ١٠: ٢٠٤).

١٧- القلقشندي، صبح الأعشى، ١: ٦٦.

١٨- مواد البيان، ٤٤- ٤٥.

١٩- المصدر نفسه،٤٥.

٢٠- أبو عبد الله، الزبير بن بكَّار مؤرخ وراوية صاحب كتاب "جمهرة نسب قريش وأخبارها"، توفي سنة ٢٥٦هـ (ينظر: القضاعي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر، (ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، الحُلة السِّيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ط١، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م، ١: ٢٥).

٢١- القلقشندي، صبح الأعشى، ١: ٧٣.

٢٢- المصدر نفسه، ١: ٧٣.

٢٣- القلقشندي، صبح الأعشى، ١: ٧٣.

٢٤- جمع مسامحة وهي الجود والموافقة على ما أريد منه، (ينظر: البقلي، محمد قنديل، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م، ٣٠٩).

٢٥- وهي إما تقرير يوافق عليه السلطان أو الملك لما قرّره من سبقه، وإما زيادة على ما هو مقرر، وإما ابتداء لتقرير ما لم يكن مقرراً من قبل، (ينظر: البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ٣٦).

٢٦- أمر سلطاني مكتوب بإقطاع من أراض أو مال أو غير ذلك (ينظر: البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ٣٣٢).

٢٧- القلقشندي، صبح الأعشى، ١: ٨٤ – ٨٥.

٢٨- ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ١: ٨٥- ٨٦.

٢٩- المصدر نفسه، ١: ١٣٠.

٣٠- ينظر: ابن الصيرفي، القانون في ديوان الرسائل، ٨.

٣١- ينظر: المصدر نفسه، ٨.

٣٢- الرفاعي، عبد العزيز، من عبد الحميد الكاتب إلى الكتَّاب والموظفين، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م، ٤٩- ٥٠.

٣٣- صبح الأعشى، ١: ٦٧.

٣٤- اسم مركب من مضاف وهو ديوان ومضاف إليه وهو الإنشاء، أمَّا الديوان فاسم للموضع الذي يجلس فيه الكتَّاب، وهو بكسر الدال، قال النَّحاس في صناعة الكتاب: وفتحها خطأ، قال: وأصله دوَّان فأبدلت إحدى الواوين ياء فقيل ديوان، ويجمع على دواوين...، وأما الإنشاء فمصدر أنشأ الشيء ينشئه إذا ابتدأه واخترعه، وحينئذ فإضافة الديوان للإنشاء تحتمل أمرين: أحدهما- أنَّ الأمور السلطانية من المكاتبات والولايات تُنشأ عنه وتُبدأ منه، والثاني- أنَّ الكاتب ينشئ لكلِّ واقعة مقالا، وقد كان هذا الديوان في الزمن المتقدم يعبر عنه بديوان الرسائل تسمية له بأشهر الأنواع التي تصدر عنه، لأن الرسائل أكثر أنواع كتابة الإنشاء وأعمُّها، وربما قيل ديوان المكاتبات ثم غلب عليه هذا الاسم- ديوان الإنشاء – وشهر به واستمر عليه.(ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ١: ١٢٣- ١٢٤).

٣٥- المصدر نفسه، ١١: ٢٦.

٣٦- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت٨٤٩هـ). حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٨م، ٢: ٢٠٣.

٣٧- ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ١١: ٢٦-٢٧.

٣٨- المصدر نفسه، ١: ١٢٨.

٣٩- المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ). المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تحقيق: د أيمن فؤاد سيِّد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن،٢٠٠٢م، ٣: ٩٧.

٤٠- وتجري فيه الرِّباع والمكوس (الضرائب)، وعليه حوالات أكثر المرتزقين، ويرتبط عمله بديوان الإنشاء، حيث يُعيَّن في ديوان الإنشاء كاتب، يُخرج ما يختص بديوان الخراج من الأمور التي ترد ضمن الكتب في معنى الخراج في أوراق، ويُعين فيها الكتب التي وصلت منها، وتاريخها، والجهة التي وردت منها، وينص على هيئتها، ويوجهها إلى ديوان الخراج فيُجاب عنها منه (ينظر: محمد البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ١٤٦).

٤١- من أهل دمشق، ومتولي سلطنة مصر وديوان الخراج في عهد سليمان بن عبد الملك، (ينظر: ابن سعيد، المُغرب في حُلى المَغرب- القسم الخاص بمصر، عني به وحققه: د شوقي ضيف وآخرون، فؤاد الأول، ١٩٥٣م، ١: ٧١).

٤٢- الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس، الوزراء والكتَّاب، ط١، (تحقيق: مصطفى السقا وآخرون)، مطبعة مصطفى الباني، ١٩٣٨م، ٥١.

٤٣- القلقشندي، صبح الأعشى، ١١: ٢٧.

٤٤- محمد بن عبد الله بن محمد بن مَوْدُود المعروف بابن عَبْدْ كان، من الكتَّاب والمنشئين، ولِيَ البريد بدمشق وحمص، وصار كاتب الطولونيين بمصر، وله الرسائل المدوَّنة في عشرة مجلدات، توفى سنة ٢٧٠هـ، (ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ٣: ٢٥٥).

٤٥- القلقشندي، صبح الأعشى، ١: ١٢٩.

٤٦- ينظر: النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب، كتاب الفهرست، تحقيق: رضا- تجدَد، طهران، ١٩٧١م، ١٥٢.

٤٧- القلقشندي، صبح الأعشى، ٣: ١٨.

٤٨- أبو الجيش حسين بن مُهَاجِر، أحد كتَّاب ديوان البريد، عرف بحسن عقله و رجاحته، (ينظر: ابن سعيد، المُغرب في حُلى المغرب- القسم الخاص بمصر، ١: ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨).

٤٩- أحد كتَّاب الإنشاء الذين اختارهم ابن طولون لنفسه، لم يكن وافياً في الكتابة، لكن ابن طولون احتمله لأنَّه مصري الأصل. (ينظر: ابن سعيد، المُغرب في حُلى المغرب- القسم الخاص بمصر، ١: ٧٤، ٨٣).

٥٠- أبو القاسم جعفر بن محمد بن أحمد بن حدار الكاتب، كثير الشعر، حسن البلاغة، عالم، له ديوان شعر ومكاتبات كثيرة حسنة. (ينظر: الحموي، ياقوت. معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م، ٢: ٧٩٠- ٧٩١).

٥١- متولي ديوان الخراج في عهد ابن طولون في بَرْقَة: وهي منطقة في ليبيا، عرفت بكثرة خيراتها، فتحها عمرو ابن العاص سنة ٢٦هـ، (ينظر: ابن سعيد، المُغرب في حُلى المغرب- القسم الخاص بمصر، ١٢٢).

٥٢- إسحاق بن نصير البغدادي أبو يعقوب كاتب الرسائل بديوان مصر بعد محمد بن عبد الله بن عَبْدِ كَان، أصله من العراق، استقل بديوان الإنشاء في عهد خُمارويه بن أحمد بن طولون، قال ابن زولاق: إنَّه مات سنة ٢٩٧هـ. (ينظر: الحموي، معجم الأدباء، ٢: ٦٢٨- ٦٢٩).

٥٣- كاتب أحمد بن طولون، عرف بكبر جثته وحسن إيقاع صوته، (ينظر: ابن سعيد، المُغْرب في حُلى المَغرب– القسم الخاص بمصر،١: ١٠٩ ،١١٢).

٥٤- كاتب أحمد بن طولون، وموضع ثقته، دخل مصر مع ابن طولون سنة ٢٥٤هـ، وهو شاب (ينظر: المصدر نفسه، ١: ٧٥، ٧٦، ٨٣، ٨٤، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٩– ١٢٦، ١٢٨، ١٣١).

٥٥- ينظر: محمد كامل حسين، الحياة الفكرية والأدبية بمصر من الفتح العربي حتى آخر الدولة الفاطمية، ١٩٨–٢٠٠.

٥٦– أبو الجيش خُمَارَويه بن أحمد بن طولون، والي مصر في أيام المعتمد على الله، تولاها بعد وفاة أبيه، وهو ابن عشرين عاماً، عُرف بحسن خطّه، قُتل سنة ٢٨٢هـ على يد غلمان له في دمشق. (ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢: ٢٤٩– ٢٥١).

٥٧- أبو بكر محمد بن علي البغدادي المادَرَّائي، كاتب، محدث، من الوزراء، وزر لخمارويه صاحب مصر، وعاش نحو تسعين عاماً، ولد سنة٢٥٨هـ، وتوفي سنة ٣٤٥هـ. (ينظر: ابن سعيد، المُغرب في حلى المغرب–القسم الخاص بمصر، ١: ٣٥٠–٣٥٣).

٥٨- أبو إسحاق النحوي اللغوي، سمي بـ النَّجِيرمِيّ نسبة إلى نَجيرم، ويقال: نجارم، وهي موضع بالبصرة. (ينظر: الحموي، معجم الأدباء، ١: ٨٧– ٨٨).

٥٩- القلقشندي، صبح الأعشى، ٧: ٩.

٦٠- أبو المسك كافور بن عبد الله الإخشيدي، كان عبداً لبعض أهل مصر، اشتراه سيده أبو بكر محمد الإخشيد، فاهتمَّ به حتى صار من كبار القوَّاد، عرف بحزمه، وتعقله، وحسن تدبيره للأمور. (ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤: ٩٩– ١٠٥).

٦١- كاتب الإخشيد بدمشق، انتقل إلى القاهرة بأمر من الإخشيدي ليتلمس له ولاية مصر، وهو أخص الناس به. (ينظر: ابن سعيد، المُغرب في حُلى المغرب– القسم الخاص بمصر، ١: ١٦٥).

٦٢- محمد كامل حسين، أدبنا العربي في عصر الولاة، ١١٥.

٦٣- القلقشندي، صبح الأعشى، ١: ١٣٠.

٦٤- أبو الحسن جوهر بن عبد الله القائد المعزي، المعروف بالقائد الرومي، كان من مولى المعز العبيدي، دخل مصر سنة ٣٥٨هـ، وهو أول من أذن بـ "حي على خير العمل" في مصر، وهو من بَنَى القاهرة، وصاحب الجامع الأزهر. (ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١: ٣٧٥– ٣٨٠).

٦٥- من التوقيع على حواشي القصص، وظهورها، كالتوقيع بخط الخليفة، أو السلطان، أو الوزير، أو صاحب ديوان الإنشاء، أو كتَّاب الدست، أو من جرى مجراهم، مما يعتمد في القضية التي وقّعت القصة بسببها. (ينظر: البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ٧٨)

٦٦- مَعَدُّ بن إسماعيل، أوَّل الخلفاء الفاطميين في مصر، ورابعهم من المهدي، وإليه تنسب القاهرة، ولد سنة ٣١٩هـ، وتوفى سنة ٣٦٥هـ. (ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٥ : ٢٢٤ – ٢٢٨).

٦٧- أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن داود بن كلّس، وزير العزيز نزار بن المعز العبيديّ صاحب مصر، يهودي الأصل، ولد ببغداد سنة ٣١٨ هـ، ونشأ بها وتوفي سنة ٣٨٠هـ بعد مرض شديد، وهو أول من وَزَر للدولة الفاطمية في الديار المصريّة. (ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٧: ٢٧– ٣٤).

٦٨- خامس الخلفاء الفاطميين في مصر وثامنهم من المهدي، ولي الخلافة بعد وفاة أبيه الظاهر لإعزاز دين الله، ولد سنة ٤٢٠هـ ، وتوفى سنة ٤٨٧هـ. (ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٥: ٢٢٩- ٢٣١).

٦٩- أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين المغربيّ، وزير المستنصر، صرف عن الوزارة سنة ٤٥٢هـ، وهو أوّل من تولّى كتابة السر في ديار مصر، توفي سنة ٤٧٨هـ. (ينظر: ابن مُيَّسر، تاج الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن يوسف، (ت٦٧٧هـ). المنتقى من أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨٠م، الصفحات ١٨، ٢٢، ٢٥، ٤٧).

٧٠- بَدْر بن عبد الله الجمالي، وزير المستنصر، أرمنيّ الأصل، استدعاه المستنصر بالله في أعقاب الشدة العظمى، وبتولي بدر وزارة السيف والقلم، بدأ عصر الوزراء العظام، ولم يبقَ للخلفاء إلا الخطبة. (ينظر: المصدر السابق، ٥٢، هـ ٢٠٨).

٧١- أبو علي عبد الرحيم بن القاضي الأشرف البيساني وقيل العسقلاني، لقب بمجير الدين، وكان وزيراً للسلطان الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، تفوَّق في صناعة الإنشاء، ولد في عسقلان سنة ٥٢٩هـ، توفي في القاهرة سنة ٥٩٦ هـ. (ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣: ١٥٨- ١٦٣، والأصفهاني، العماد، (ت٥٩٧هـ). خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء مصر)، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١: ٣٥-٤٥).

٧٢- الخطط ، جـ٣ : ٩٨.

٧٣- أبو المنصور نزار بن المعز بن المنصور بن المهدي العبيدي، ثاني الخلفاء الفاطميين في مصر وخامسهم من المهدي.(ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٥: ٣٧١- ٣٧٦).

٧٤- بشر بن عبيد الله بن سُورين، تولى ديوان الإنشاء منذ أواخر عهد العزيز بالله إلى السنة التي توفي بها ٤٠٠هـ، ويقال: ابن سورين كان كاتبا للحاكم أيضاً، وقد بالغ الناس في استحسان ما كتبه عن الإمام الحاكم إلى عامل القدس: "وقد خرج الأمر عن حضرة الإمامة بأن تسير إلي قمامة، فتجعل طولها عرضاً، وسماءها أرضاً"، فذكر ابن الصيرفي أن اختصر من هذا ما قاله: "سر إلى قمامة فعجل لها القيامه". (ينظر: ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ١٧٩، والنجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة - القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلى المغرب، ، ٢٤٨ – ٢٤٩، والشيال، مجموعة الوثائق الفاطمية، ١٤٨، هـ١).

٧٥- أبو علي المنصور بن العزيز بالله بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي ، الملقب بـ الحاكم بأمر الله، ثالث الخلفاء الفاطميين في مصر وسادسهم من المهدي، ولد سنة ٣٧٥هـ. (ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٥: ٢٩٢- ٢٩٨).

٧٦- محمد بن رجاء أبو الطاهر، وَلِيَ القضاء بعد محمد بن عبد الله الحاكم، فلم يزل إلى أن مات سنة ٤٩٣ هـ. (ينظر: ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: د علي محمد عمر، ط١، الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م، ٣٧٥).

٧٧- أبو هاشم علي بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي، الملقب بالظاهر لإعزاز دين الله، رابع الخلفاء الفاطميين في مصر وسابعهم من المهدي، ولد

بالقاهرة سنة ٣٩٥هـ، وتوفى سنة ٤٢٧هـ. (ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣: ٤٠٧- ٤٠٨).

٧٨- ولي الدولة أبو محمد أحمد بن علي بن أحمد بن خيران الكاتب المصري، وصاحب ديوان الإنشاء للظاهر والمستنصر، كان رزقه في كل سنة ثلاثة آلاف دينار، كان شابا حسن الوجه، جميل المروءة، واسع النعمة، ونظمه ونثره قد دوّنا؛ إذ هما أعلى ما يدوّن، توفي في رمضان ٤٣٢هـ. (ينظر: النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، ٢٤٤-٢٤٨، و الحموي ، معجم الأدباء، ١: ٣٨٠-٣٨٤).

٧٩- بدر الدولة أبو الفتوح موسى بن الحسن من كبار موظفي الدولة الذين تقلبوا في المناصب المختلفة، تولى الشرطة السفلى، ثم صار واليا على الصعيد سنة ٤١٢هـ، ثم ولي ديوان الإنشاء، قتل سنة ٤١٣ هـ. (ينظر: ابن الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، ٦٦، والمناوي، د محمد حمدي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف بمصر، ٢٥١)

٨٠- من أفاضل الكتَّاب وبلغائهم تولّى ديوان الإنشاء في مصر أيام المستنصر، له تصانيف في الأدب، توفي سنة ٤٣٣هـ. (ينظر: الحموي، معجم الأدباء، ٥: ٢٣٤٨- ٢٣٤٩، والقلشندي، صبح الأعشى، ١: ١٣٠).

٨١- أبو علي المنصور بن المستعلي بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم العبيدي، سابع الخلفاء الفاطميين في مصر وعاشرهم من المهدي، ولد سنة ٤٩٠هـ. (ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٥: ٢٩٩).

٨٢- أبو الميمون عبد المجيد بن أبى القاسم محمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم المهدي، ثامن الخلفاء الفاطميين في مصر والحادي عشر من المهدي، ولد سنة ٤٦٧هـ وتوفي سنة ٥٤٣هـ. (ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣: ٢٣٥- ٢٣٦).

٨٣- أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن ابن أبى أسامة، الحلبي الأصل المصري الدار، صاحب ديوان الإنشاء في أيام الخليفة الآمر، توفي سنة ٥٢٢هـ. (ينظر: ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ٩٠، والقلقشندي، صبح الأعشى، ١: ١٣٠).

٨٤- أبو المكارم بن علي بن أحمد بن أبي أسامة، متولي ديوان الإنشاء بعد أبيه في أيام الحافظ لدين الله الفاطمي. (ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ١١: ١٢٩).

٨٥- علم الرؤساء ابن الصيرفي أبو القاسم علي بن منجب كاتب إمامهم الآمر وغيره من خلفاء مصر. (ينظر: النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ، ٢٥٢- ٢٥٤).

٨٦- القاضي المفضل كافي الكفاة أبو الفتح محمود بن إسماعيل بن حميد الدمياطي، أحد كتَّاب الإنشاء في بلاط الحافظ توفى سنة ٥٥٣هـ.(ينظر: الخريدة- قسم شعراء مصر، ١: ٢٢٦-٢٣٤، و ابن ميسر، المنتقى من أحبار مصر، ١٥٧).

٨٧- أحد كتَّاب الإنشاء في عهد الآمر بأحكام الله. (ينظر: ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ١١٢).

٨٨- أبو الحجاج يوسف بن محمد المعروف بابن الخَلَّال الملقب بالموفق، صاحب ديوان الإنشاء في عهد الحافظ، توفي سنة ٥٦٦هـ. (ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٧: ٢١٩-٢٢٥، والأتابكي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ). والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط ٢ ، مركز تحقيق التراث، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٥م ، ٥ : ٢٩٤، والنجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، ٢٦١ – ٢٦٢، والخريدة – قسم شعراء مصر، ١: ٢٣٥-٢٣٧).

٨٩- أبو محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ بن محمد بن المستنصر بن منصور بن نزار بن المنصور بن القائم بن المهدي، عاشر الخلفاء الفاطميين في مصر والرابع عشر من المهدي، ولد سنة ٥٤٤هـ وتوفي سنة ٥٦٧هـ. (ينظر: أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ٥: ٣٣٤).

٩٠- علي بن محمد، من صدور الكتَّاب في مصر، نال مكانة في الدولة المصرية، آواه القاضي الفاضل لما انقرضت تلك الدولة ودافع عنه، واستوزره الملك عز الدين فُرُخْشَاه بن شاهنشاه بن أيوب وأغناه، وهو ذو جاه عريض. (ينظر: الخريدة، ١: ٥٤ – ٥٦ ، والنجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، ٢٦٤– ٢٦٦).

٩١- صبح الأعشى، ١: ١٣٠، و السيوطي، حسن المحاضرة، ٢: ٢٠٨.

٩٢- ينظر: ابن الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزراة، ٩٢.

٩٣- ينظر: اتعظا الحنفا، ٢: ٦.

٩٤- الأمير الخطير رئيس الرؤساء أبو الحسين عمار بن محمد. (ينظر: الإشارة إلى من نال الوزارة ،٦٥).

٩٥- ينظر: اتعظا الحنفا، ٢ : ١٢٨.

٩٦- ينظر: المصدر نفسه، ٢: ٣٣٣.

٩٧- ينظر: المصدر نفسه، ٢: ١٢-١٣.

٩٨- ينظر: المصدر نفسه، ٣: ١٨٥.

٩٩- ينظر: المصدر نفسه، ٣: ٦١، ٨١.

١٠٠- القاضي الجليس أبو المعالي عبد العزيز بن الحسين بن الجَبَّاب من ذرية بني الأغلب التميميين سلاطين إفريقية ، عُرف بشعره ونثره، تولّى ديوان الإنشاء للفائز مع الموفق أبي الحجاج، مات في مصر سنة ٥٦١هـ، ينظر : الخريدة- قسم شعراء مصر ١: ١٨٩– ٢٠٠، و النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، ٢٥٤– ٢٥٩، و أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق: إبراهيم الزّيبق، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧م ، ٢: ٦).

١٠١- ينظر: نفسه، ٣: ٢١٦، و الأصفهاني، العماد، خريدة القصر وجريدة العصر(قسم شعراء مصر)، ١: ١٨٩-٢٠٠.

١٠٢- ينظر: النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، ٢٤٩– ٢٥٠، الخريدة– قسم شعراء مصر، ٢: ٦٥– ٦٦).

١٠٣- الحسن بن محمد بن عبد الصمد بن أبي الشخباء أبو علي العسقلاني صاحب الرسائل مات سنة ٤٨٢هـ معتقلا في مصر في خزانة البنود وكان يلقب بالمجيد ذي الفضيلتين، أحد البلغاء الفصحاء الشعراء، له رسائل مدونة مشهورة، قيل إن القاضي الفاضل منها استمدّ وبها اعتدّ. (ينظر: الحموي، معجم الأدباء، ٣: ٩٩٩– ١٠١٢).

١٠٤- ينظر: الحموي، معجم الأدباء، ١: ٣٨١.

١٠٥- أسعد بن مهذب بن زكريا بن قدامة بن مينا شرف الدين مماتي أبو المكارم بن سعيد بن أبي المليح الكاتب المصري، كان جوادا ممدوحا وزير مصر أيام الخليفة المستنصر بالله.(ينظر: المقريزي، الخطط ٣ :٥٣١).

١٠٦- ينظر: نفسه، ٣: ٩٨.

١٠٧- القانون في ديوان الرسائل، ٧.

١٠٨- أو الملطفات، ومعناها الرسائل، وكانت تكتب عادة للأمراء للترضية والمدح، أو التغرير والتأمين تمهيداً لما يزعمه لهم السلطان من عقوبة أو قتل، وكانت الملطفات تكتب بقلم الغبار. (ينظر: محمد البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ٣٢٧).

١٠٩- هي دواة صنعت من الذهب، وحليتها مصنوعة من المرجان على صلابته ومناعته، تُلف في منديل شرب أبيض مذهب، ويحملها شخص من الأستاذين في المواكب أمام الخليفة. (ينظر: البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ١٣٩).

١١٠- الخطط، ٢: ٣٣٦.

١١١- المصدر نفسه، ٢: ٣٣٦.

١١٢- ابن الصيرفيّ، القانون في ديوان الرسائل، ١٠.

١١٣- أبو شامة، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، الطبعة الأولى، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧م، ١: ١٩٢.

١١٤- ينظر: صبح الأعشى، ١: ١٣٠.

١١٥- ينظر: د محمد كامل حسين، في أدب مصر الفاطمية، ط١، دار الفكر العربي، ١٩٥٠م، ٣١٢.

١١٦- الإمامة، في معتقد الشيعة، هي رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص نيابةً عن النبي محمد، صلّى الله عليه وسلّم، فهي رئاسة والناس فيها مرؤوسون، والإمامة لا تحد بحد بل هي في جميع الشؤون الدينية والدنيوية، في مجال الحكم التشريعي والتنفيذي فيما يتعلق بالإدارة والسياسة وجميع قضايا الحياة، فلها جميع مقومات وصلاحيات النبوة باستثناء ما يتعلق بالوحي ويختص بالنبي، فالإمام ليس نبيا بل نائبا عن النبي. (ينظر: المعلم، محسن علي، العقائد من نهج البلاغة، الطبعة الأولى، دار الهادي، بيروت، ١٩٩٩م، ٢٣٦- ٢٣٧).

١١٧- ينظر: د أحمد أحمد بدوي، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، الطبعة الثانية، دار مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ٣٣٩.

١١٨- القلقشندي، صبح الأعشى، ١: ١٣٦.

١١٩- ينظر: مواد البيان، مقدمة المحقق، ٦- ١١.

١٢٠- ينظر: المصدر نفسه، ٢٦- ٢٧.

١٢١- ابن الصيرفي، القانون في ديوان الرسائل، ٦.

١٢٢- المصدر نفسه، ٦.

١٢٣- ابن الصيرفي، القانون في ديوان الرسائل، ٧.

١٢٤- ينظر: علي بن خلف، مواد البيان، ٧٥.

١٢٥- ينظر: علي بن خلف، مواد البيان، ٧٥.

١٢٦- ينظر: ابن الصيرفي، القانون في ديوان الرسائل،٧.

١٢٧- من موظفي ديوان الإنشاء ، وسمي بكاتب الدَّست، إضافة إلى دست السلطان، وهو مرتبة جلوسه لجلوسهم للكتابة بين يديه، وهؤلاء هم أحقُّ كتَّاب ديوان الإنشاء باسم الموقعين. (ينظر: البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ٢٨١).

١٢٨- ينظر: الخطط، ٢ : ٣٣٦.

١٢٩- ينظر: علي بن خلف، مواد البيان، ٧٥.

١٣٠- القانون في ديوان الرسائل، ٧.
١٣١- المصدر نفسه، ٨.
١٣٢- القلقشندي، صبح الأعشى، ١: ١٢٩.
١٣٣- كانت طلائع الفرنجة قد وصلت إلى الشام قبل ذلك بسنوات في سنة ٤٩٢هـ. (ينظر: القانون في ديوان الرسائل، ٨، هـ٢).
١٣٤- ينظر: ابن الصيرفي، القانون في ديوان الرسائل، ٨.
١٣٥- ينظر: المصدر نفسه، ٩.
١٣٦- ينظر: ابن الصيرفي، القانون في ديوان الرسائل ، ٩.
١٣٧- ينظر: المصدر نفسه، ١٠.
١٣٨- ينظر: المصدر نفسه، ١٠– ١١.
١٣٩- ينظر: المصدر نفسه ، ١١.
١٤٠- ينظر: المصدر نفسه ، ١١.
١٤١- ينظر: المصدر نفسه، ١١.
١٤٢- ينظر: ابن الصيرفي، القانون في ديوان الرسائل،١٣–١٤.